حديث السعودية

الثلاثاء 21 رجب 1446هـ
الموافق 21 يناير 2025م

الروح المدينية

عبدالمحسن البدراني

رئيس التحرير

شدني، البارحة، حديث جمعني مع أحد كبار المسؤولين عن المدينة المنورة، وتفسيره العميق لما يُعرف بـ«الروح المدينية». حديثه أثار في داخلي تساؤلات وجدت لها امتدادًا في كل من عاش أو زار المدينة: هل هذه الروح التي تميزها تنبع من قدسية أرضها؟ أم أنها انعكاس لشخصية الإنسان المديني؟ أم أن تاريخها وسياقاتها هي التي صاغت هذا النسيج الفريد؟

لا يمكن الحديث عن الروح المدينية دون التطرق لقدسية المكان. فالمدينة المنورة ليست مجرد بقعة جغرافية، إنها مهاجر النبي -صلى الله عليه وسلم، الأرض التي شهدت بزوغ أول مجتمع إسلامي. في أرضها سكينة لا تخطئها القلوب، ونفحات طمأنينة تجعل الزائر يشعر بأنه أقرب إلى السلام الداخلي بمجرد دخوله إليها. لكن هل يكفي هذا القدر من القدسية لتفسير الروح المدينية؟

الأرض، وإن كانت مقدسة، لا تصنع وحدها هذا الأثر الفريد. فالمدينة ليست فقط مكانًا مباركًا، بل هي حالة وجدانية متكاملة. وهنا يأتي دور الإنسان المديني؛ العنصر الأبرز في صياغة تلك الروح.

الإنسان المديني يمثل مزيجًا استثنائيًّا من الطيبة، الكرم، السماحة، وحب الغريب. هذه الصفات ليست مجرد أخلاق مكتسبة، بل هي جزء من نسيجه الفطري. لكن ما الذي جعل الإنسان المديني يتميز بهذه الصفات؟ الجواب يكمن في إرث عميق يمتد إلى زمن الأنصار؛ أولئك الذين كتبوا درسًا خالدًا في الإنسانية عندما فتحوا قلوبهم وبيوتهم للمهاجرين دون تردد.

هذا الإرث الأخلاقي لم يكن مجرد صفحة عابرة في التاريخ، بل تحول إلى نمط حياة يتناقله أهل المدينة عبر الأجيال. الطيبة والسماحة المدينيتان ليستا نتيجة الظروف فقط، بل هما امتداد لتلك اللحظة التاريخية التي جمعت الإيمان بالسلوك الإنساني في أبهى صورة.

السياقات التاريخية للمدينة تضيف بُعدًا آخر لهذه الروح. الهجرة النبوية لم تكن مجرد حدث سياسي، بل كانت تأسيسًا لمنظومة أخلاقية متكاملة. الأنصار جسدوا معاني الأخوة والتعاون، حيث شاركوا المهاجرين كل شيء: الأرض، البيت، وحتى الأمل.

هذه اللحظة التاريخية العظيمة شكّلت وجدان المدينة وأهلها، وأصبحت جزءًا من هويتها. الروح المدينية، إذن، ليست فقط نتيجة لقدسية الأرض، أو طيبة الإنسان، بل هي نتاج هذا التفاعل العميق بين المكان والتاريخ والإنسان.

المدينة ليست مجرد مكان للزيارة أو الإقامة، إنها تجربة يعيشها كل من يطأ أرضها. فهي الأرض التي تمنح السكينة، والإنسان الذي يجسد القيم، والتاريخ الذي يحكي قصة الإيمان والسماحة.

في النهاية، الروح المدينية ليست سرًّا يمكن تفسيره بسهولة، بل هي مزيج معقد ومتناغم يجد فيه كل زائر جزءًا من الإجابة. سواء كانت هذه الروح مستمدة من قدسية الأرض، أو من إنسانها المديني، أو من تاريخها، فإن المدينة المنورة تبقى فوق كل تفسير؛ لأنها -ببساطة- تلامس الروح قبل العقل، وتترك أثرها العميق في قلب كل من زارها، أثر لا يمحوه الزمن ولا يغيب عن الذاكرة.